الفصل الرابع

آثار التطرف الفكــري

حينما نتحدث عن آثار التطرف الفكري كظاهرة سلبية، أو كظاهرة نتفق على سلبيتها، نجد أنفسنا أمام موقفين[1]:

الموقف الأول:- أن ننظر إلى التطرف الفكري نظرة تجريدية، كظاهرة بغض النظر عن إسقاطها على فكر ما، فننطلق من التسليم بوضوح المفهوم و شفافيته- و هو بهذا المستوى محل اتفاق، إذ لا يختلف اثنان في أن التطرف الفكري عبارة عن الانحراف عن الاستقامة في الفكر والاعتدال في فهم الأمر الذي ينجم عن فكر متطرف- بغض النظر عن إسقاطاته.

الموقف الآخر:- أن ننظر إلى مفهوم التطرف من خلال مصداقيته. وحينئذ لا بد لنا من أن نأخذ معيارًا للاعتدال الفكري يتحدد على أساسه التطرف الفكري.

والموقف الأول يعطي للبحث قيمة شمولية لا تنحصر بمدرسة معينة، وإنما تنفتح عليها كل المدارس التي عرفها وسيعرفها الفكر الإنساني، بينما يعطي الموقف الآخر للبحث قيمة معنوية، فهو مضافًا إلى عدم ابتعاده عن تشخيص الواقع المتطرف فيكون أقدر على بيان سلبيات التطرف في ذلك الواقع بعينه والذي قد تكون له من الخصوصيات ما يعكس سلبيات مضافة ومتمايزة عن غيره، فإنه ينطلق من معيار يتحدد على أساسه المعتدل من المتطرف.

لاشك في، أن التطرف الفكري إذا كان عبارة عن مجانبة الاستقامة في الفكر والاعتدال في الفهم، فهو أمر سلبي لا مجال للنقاش في سلبيته. لكننا لن نكتفي بإدراك سلبية التطرف الفكري على نحو الإجمال، وإنما نريد أن نعرض آثاره السلبية، كي نمارس عملية التوعية التي يحتاجها الفرد والمجتمع لتجنب السقوط في منحدر التطرف، والمحافظة على منهج الاستقامة والاعتدال.

ونحن في مقام بيان الآثار السلبية للتطرف الفكري سوف نركِّز على الآثار المحورية التي يمكن أن تندرج تحتها تفاصيل الآثار السلبية للتطرف الفكري، ذلك أن استقصاء التفصيلات ربما يكون متعذرًا، علاوة على أنه غير منهجي، والمنهجي هو أن تُذكر المحاور الكلية الأساسية والتي تبقى مفتوحة لاستيعاب التفاصيل ما خطر منها ببال وما لم يخطر، وما حدث منها وما يستجد.

---

١) حسين المؤيد: آثار التطرف الفكري، بحث ألقاه الإمام المؤيد في الدورة الأولى للأئمة والخطباء والدعاة التي أقامتها وزارة العدل والشؤون الإسلامية والأوقاف في مملكة البحرين بتاريخ ١٩/ ٥/ ٢٠١٢، تم الدخول ٨/ ١/ ٢٠١٦.
- http://www.almoaiyad.com/Research&Studies/r-s81.htm

وأهم الآثار المحورية السلبية للتطرف الفكري هي[1]:

أولاً: الأثر الذاتي على المتطرف نفسه:

لقد خلق الله تعالى الإنسان في أحسن تقويم، وجعله سويَّ الخلقة سويَّ الذهن والإدراك، وميَّزه على مخلوقاته بالإرادة وبالعقل الذي ينبغي أن يقوده إلى الاستقامة في التفكير. ولا شك في أن التطرف الفكري يجعل الشخص خارجًا عن الاستقامة مخلاً بموازينها، فيحدث الانفصام بين ما هو عليه، وما ينبغي أن يكون عليه، الأمر الذي يترك عليه آثارًا نفسية سيئة غائصة في اللاشعور النفسي، كما يصدِّع العلاقة بينه وبين المجتمع، وتتغير نظرته إلى مجتمعه وإلى أهل الاستقامة وتنقلب عنده الموازين والقيم، وينظر إلى الواقع نظرة شاذة خاطئة لا تتصف بالموضوعية.

وبالتالي فالتطرف الفكري مرض يصاب به الفكر، وحالة سقيمة تجعل الإنسان في وضع غير طبيعي وغير سويّ. وكما أن الإنسان يعمل على المحافظة على صحته العقلية والجسمية، ويدرك أن اعتلال العقل أو الجسم حالة مرضية، كذلك يجب أن ينظر إلى التطرف الفكري باعتباره انحرافًا عن الاستقامة في الفكر والاعتدال في الفهم، فهو حالة مرضية يعتلّ فيها الفكر، ويخرج بها الإنسان عن طبيعته.

ومن زاوية دينية، فإن التطرف الفكري يؤدي إلى انحراف الإنسان عن المنهج الديني الصحيح، الأمر الذي ينعكس خللاً في العقيدة، وإثمًا في السلوك يسقطه عن رضى الله عزّ وجلّ، ويجعله في معرض الحساب والعقاب الأخروي، وكفى بذلك خسرانًا مبينًا.

ثانيًا: الأثر السلوكي:

من المقرر في علم الاجتماع وفي علم النفس أن السلوك البشري مظهر للثقافة وانعكاس للفكر، ومعنى ذلك أن التطرف الفكري لن يقف عند حدود الفكر، وإنما سينعكس على السلوك.

وإذا كان التطرف الفكري حالة مرضية غير سوية في الفكر، فإن انعكاسه السلوكي سيكون بلا ريب مظهرًا سلوكيًا غير سويّ أيضًا. وهذا المظهر السلوكي المَرَضي مضافًا إلى تداعياته السلبية في المحيط والمجتمع، سيكون قابلاً للعدوى والانتشار الذي يَوسع دائرة التداعيات، وينفتح على مضاعفاتها. وفي ذلك خطر كبير على المجتمع.

---

١) حسين المؤيد: آثار التطرف الفكري، بحث ألقاه الإمام المؤيد في الدورة الأولى للأئمة والخطباء والدعاة التي أقامتها وزارة العدل والشؤون الإسلامية والأوقاف في مملكة البحرين بتاريخ ١٩/ ٥/ ٢٠١٢، تم الدخول ٨/ ١/ ٢٠١٦.
http://www.almoaiyad.com/Research&Studies/r-s81.htm

ثالثًا: الأثر السلبي على الأمن المجتمعي:

إن العناصر المعيارية هي الأساس في تشكيل النظام الاجتماعي، وفي استمراريته بحالة مستقرة. والعناصر المعيارية كما تلعب دورًا إيجابيًا بوجهها الإيجابي، كذلك تلعب دورًا سلبيًا بوجهها السلبي فيما إذا كانت المعايير سلبية أو غير متوازنة.

والتطرف الفكري يخل بالنظام الاجتماعي وبالأمن المجتمعي لأنه يستند إلى معايير سلبية بحكم انحرافه عن الاعتدال في الفهم والاستقامة في التفكير، وهو يحمل المعايير السلبية أيضًا، فيكون له أثر تخريبي حيث تلعب المعايير السلبية دورها في النظام الاجتماعي، ويشكل خطرًا على العناصر المعيارية الإيجابية التي هي الأساس في نظام اجتماعي مستقر، وفي أمن مجتمعي واقعي.

رابعًا: الأثر السلبي على المنظومة الفكرية والاجتماعية:

حينما يشق التطرف الفكري طريقه في المجتمع، ويتحول من حالة فردية إلى حالة مجتمعية قد تأخذ شكل تيار في المجتمع أو فرقة أو تنظيم أو ما شاكل، فإنه يلعب دورًا سلبيًا في خلط الأوراق، والتشويش على الحقائق، والتضليل وضرب نسق القيم والمعايير، وهذا ما يسبب إشكالية قد تتحول إلى فتنة في المجتمع، ربما تكون فتنة دينية أو سياسية أو ثقافية، ويوجه ضربة لما يسمى في علم الاجتماع بالإثنوميثودولوجي أي منهجية الجماعة.

إن المتتبع للتاريخ يجد أن المجتمعات المتنوعة لطالما عانت من انشقاقات ضربت وحدتها وتماسكها في الصميم نتيجة للتطرف الفكري. إن تاريخنا الإسلامي حافل بالمعاناة من انشقاقات أحدثها التطرف الفكري تصدع منها شمل الأمة الإسلامية.

لقد أوجد الإسلام أمة رسالية صاغها على عين تعاليم الرسالة الإسلامية، واستمدت ثقافتها من كتاب الله تعالى وسنة نبيه المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام، فقامت هذه الأمة على أساس ثقافة الأمة الواحدة، ولم يلتحق رسول الله صلوات الله وسلامه عليه بالرفيق الأعلى حتى أكمل الله الدين وأتم النعمة إذ ألّف قلوب المسلمين وجعلهم إخوانًا، فنزل قوله تعالى في عرفة في حجة الوداع ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا فَمَنْ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾ [سورة المائدة:٣].

ورحل النبي الأكرم عن أمته وقد تركها على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، وقد بيّن القرآن الكريم أساس وحدة الأمة فقال تعالى) وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا([سورة ال عمران:١٠٣]، وحذّر من التفرق ونهى عنه نهيًا أكيدًا مشددًا.

قال تعالى: ﴿**وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ**﴾ [سورة ال عمران:١٠٥]، وقال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ**﴾ [**سورة الأنعام: ١٥٩**]، وقال تعالى ﴿**شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ**﴾ [سورة الشورى: ١٣].

كل هذه الآيات البينات جاءت تأكيدًا على ثقافة الأمة الواحدة المستمدة من الكتاب والسنة النبوية، والتي هي أساس وحدة الأمة، فدبّ التطرف الفكري إلى عقل الأمة، ونسج عقائد وفلسفات ليس لها وجود في ثقافة الأمة الواحدة، ولم تقم بها الحجة من كتاب الله تعالى و سنة نبيه عليه الصلاة والسلام، فأحدث ذلك انشقاقات مريرة أخذت صيغة الفرق ﴿**الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا**﴾ ، ﴿**فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ**﴾ [سورة المؤمنون: ٥٣].

فكم عانت الأمة ولا تزال تعاني من هذه الانشقاقات التي تطرفت عن جماعة المسلمين، وكان التطرف الفكري عاملاً رئيسًا في الفرقة والتصدع. و لولا التطرف الفكري الذي شق طريقه لبقيت الأمة على ما كانت عليه زمن الرسول الكريم وخلفائه الراشدين لا سيما أبي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما وأرضاهما حيث لم تظهر بعد معالم الفتنة، ولم تتفاعل عوامل نشوء التطرف الفكري.

إن التطرف الفكري بما ينجم عنه من آثار تخريبية على المنظومة الفكرية والمجتمعية، يترك أيضًا أثرًا سلبيًا على الكيانات السياسية، فقد يكون من عوامل إضعافها أو إسقاطها، كما يترك أثرًا سلبيًا على الكيانات الحضارية وعلى المسيرة الحضارية للأمم و الشعوب، لأنه يعرقل هذه المسيرة أو يتسبب في حرفها أو قصورها.

خامسًا: الأثر السلبي للتطرف الفكري من وجهة نظر دينية:

قال تعالى: ﴿**لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ**﴾ [سورة الحديد: ٢٥]، ما أجمل وأعظم المعطى الفلسفي والتربوي لهذه الآية الكريمة، فهي تبيِّن أن الهدف من إرسال الرسل وإنزال الكتب ووضع المعايير والقيم هو قيام الناس بالقسط، أي أن يكون المجتمع البشري مجتمع العدل والاستقامة، ولا يقوم الناس بالقسط إلا من خلال قيم العدل وشريعة العدل وسلوك العدل، ويعبِّر القرآن الكريم عن ذلك بالصراط المستقيم.

ومن خلال إدراكنا لهذه الحقيقة نُدرك أن التطرف عن الصراط المستقيم هو انحراف خطير يتجه خطره إلى الدنيا والآخرة، فإن الهدف الذي وضعته السماء للبشرية في الدنيا هو قيام الناس بالقسط، والانحراف عن الصراط المستقيم خروج عن العدل والقسط وإخلال به، وإعاقة عن قيام الناس بالقسط، وأخرويًا فإن الموصِل إلى سعادة الآخرة ونعيمها هو سلوك الصراط المستقيم، فالتطرف عنه ضلال يهوي بالإنسان إلى الشقاء والعذاب.

إن التطرف هو النقيض للعدل، وهو انحراف عن الوسطية التي أرادها الله تعالى للمسلمين، وهي لا تتحقق إلا بالالتزام ببينات الكتاب والسنة النبوية، فهما البوصلة التي تضبط حركة المسلم على الصراط المستقيم، وما شطّ عنها فهو تطرف يحرف الإنسان عن الصراط القويم. هذه جملة من المحاور الرئيسة التي تلخص لنا الآثار السلبية للتطرف الفكري. إن التطرف الفكري انحراف خطير لا بد أن ينهض المجتمع لمعالجته، وأن توضع الأبحاث والدراسات الناضجة التي تبيِّن سبل العلاج المجدية. ونحن كأمة إسلامية - يتحرك فيها التطرف الفكري بفعل مجموعة من العوامل- بحاجة ماسّة إلى معالجة هذا المرض الوبيل الذي ينخر الجسم الإسلامي من الداخل، ويعيق مسيرة الأمة ويشوه سمعتها[1].

على أساس أن التطرف حالة من الجمود والانغلاق العقلي وتعطيل القدرات الذهنية عن الإبداع والابتكار، وعن إيجاد الحلول في عالم سريع التغير، فإن انتشار هذه الحالة يكون مُهددًا، ليس لتطور المجتمع فحسب، بل لوجوده واستمراره. والجدير بالذكر هنا أنه لا بد أن ندرك أن التطرف سبب ونتيجة في آن واحد للتخلف والركود[2].

ويكون من بين آثار التطرف الخطيرة بالإضافة إلى ما سبق ما يلي:

١ - التدهور في الإنتاج، حيث أن أهم عنصر في قوى الإنتاج هو الإنسان العامل الذي لا بد - لكي يطور إنتاجه - من أن تتطور قدراته العقلية، بحيث يكون قادرًا على الإبداع والابتكار والتجديد. فإذا ما كان أسيرًا لأفكار جامدة وعاجزًا عن التفكير وإعمال العقل، فإن ذلك يجعله متمسكًا بالأساليب البالية العتيقة في الإنتاج، بل بتنظيم العمليات الإنتاجية ذاتها كذلك.

٢- يمثل التطرف دائمًا حنينًا إلى الماضي والعودة إلى الوراء، أي أنه يكون دائمًا ذا منحى رجعي أو محافظ على أحسن الأحوال، وبالتالي فإنه يجر العلاقات الاجتماعية إلى أوضاع بالية لا تلاءم تقدم العصر.

---

١) حسين المؤيد: آثار التطرف الفكري.

٢) مفهوم التطرف، المرصد العربي للتطرف والإرهاب، تم الدخول ١٢/ ١/ ٢٠١٦.
http://arabobservatory.com/?page-id=2918

٣- يرتبط التطرف بالتعصب الأعمى والعنف، الأمر الذي يؤدي في النهاية إلى صراعات مدمرة داخل المجتمع.

٤- يرتبط التطرف بالتدهور الثقافي والفكري والعلمي والفني، إنه قتل للإنسان باعتباره كائنًا مبدعًا وخلاقًا.

٥- يعطل التطرف الطاقات الإنسانية كافة ويستخدمها في الصراعات والعداءات، ويحول دون تكامل المجتمع.

٦- فرض الرأي على الآخرين بدون مراعاة لسُنّة الاختلاف الفكري والنفسي والروحي لدى الناس.

وعلى هذا، يكون لكل نوع من أنواع التطرف الفكري أثره الخاص على الفرد من ناحية، وعلى المجتمع من ناحية أخرى. ولكن مع هذه الآثار البالغة للتطرف الفكري وخطورتها نتساءل هل يمكننا معالجته والقضاء عليه؟ هذا ما سنعرض له في الفصل القادم.